فى مجلات الشرق

من لبنان

الأديب العدد ٣ : ٧ (مارس ١٩٤٨)

يفتتح الأستاذ عبد الله المشنوق هذا العدد من «الأديب» بكلمة عن التعاون الثقافى المنشود بين الأقطار العربية ، جعل عنوانها « قصيدة بل أسطورة » وهو ينكر فى كلمته هذه أثر الجهود التى تبذل منذ إنشاء جامعة الدول العربية لتحقيق ذلك التعاون الثقافى ، ويزعم - ولعله على حق فى كثير مما يزعم - أن أثر هذه الجهود لا يتجاوز بضعة « كراريس أنيقة على ورق صقيل ، ومآدب سخية ، ولجان ثقافية لا تجتمع » وأن « هذا التعاون الثقافى بين الأقطار العربية ، قصيدة ، بل أسطورة ! »

وفى ثنايا هذا الحكم الذى يدمغ به الأستاذ المشنوق كل ما بذلت جامعة الدول العربية من مجهودات لتحقيق التعاون الثقافى خلال ثلاثة أعوام ، لاتتجاوز تلك الكراريس التى كتبت على عجل وطبعت طبعاً أنيقاً ثم وزعت على الأقطار العربية وصادق ممثلو الدول العربيــة على بعضها فى مؤتمر بيت مرى ... خلال هذا الحكم الدامغ يسائل الأستاذ المشنوق :

« ثم على ماذا تحتوى هذه الكراريس ؟ هى تضم عـدداً من الأسـئلة صيغت بشكل يوحى جواباً معيناً مقصوداً ، وهى تتناول القدر المشترك من قواعد اللغة وآدابها والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية . »

ويمضى فى مساءلته :

« أليس من المؤسف حقا أن نبحث القدر المشترك فى هذه الموضوعات قبل أن ندرس المستوى العلمى الدراسى فى مختلف مراحل الدراسة بين الأقطار العربية ونعمل على توحيده ... وهل تقوم اللجان الثقافية بدرس مشاكل المعلمين و إعدادهم ، والبعثات العلمية ، وكتب الدراسة ، والرحلات المشتركة ، وتزاور كبار الأدباء والعلماء العرب ، والمكتبة العربية ، والتأليف ، والتعاون على إحياء التراث القديم ، وعلى تنشيط التأليف وتوجيهه ... وما هو نصيب الأدب والفن (الموسيقى والتصوير والنقش) من عناية اللجان الثقافية ... وأى أثر كان لتواصى مؤتمر بيت مرى ؟... »

ويبدو أن هذه الأسئلة الذى يتوجه بها الأستاذ المشنوق إلى قرائه ، يدور مثلها فى أدمغة كثير من المثقفين فى دول الجامعة العربية السبع وفى غيرها من البلاد العربية التى لم يكن لها حظ المشاركة فى لجان الجامعة الثقافية ومؤتمراتها ؛ فان العصبة المحدودة الاتجـاه التى تشرف على الشؤون الثقافية لجامعة الدول العربية ، ليست من سعة الأفق بحيث تتنور هذه الأهداف البعيدة التى يأمل أن يبلغها كل مثقف واع من أبناء البلاد العربية ، فلم تسلك طريقها الذى سلكت عن علم وبصيرة وتجربة ، بل

سارت متقادة فى الطريق الذى رسم لها بعض المشرفين على شؤونها من كبار أصحاب السلطة ، كما يمضى كل « موظف » فى الطريق الذى يدفعه إليه « رئيسه » وصاحب السلطان عليه لا يدرى أين يبلغ ! فالأمر فى ذلك أمر حكومات لا أمر علماء من أهل الرأى والتجربة والادراك الشامل والأهداف القومية المدروسة البعيدة المدى . وليس العيب فى ذلك هو عيب أولئك السائرين إلى غير هدف يتنورونه ؛ إذ كانت كل كفايتهم فى عملهم - كموظفين - هى الطاعة ! ولا هو عيب الحكومات التى قلدتهم وظائفهم ودفعتهم إلى هذا النهج ؛ إذ كان الحكام فى هذه البلاد العربية - على العادة وفى أغلب الأحوال - ليسوا من الثقافة بالمنزلة التى يؤمل معها أن يكون لهم توجيه سديد فى الشؤون التى تتصل بالآداب والعلوم والفنون والثقافة العامة . وفى مصر - كما فى لبنان - لا يأمل الشعب فى الوقت الحاضر على الأقل أن يكون القائمون على شؤونه فى تلك المنزلة ... فاذا كان ثمة تقصير يلسب إليه هذا العجز عن تحقيق معنى التعاون الثقافى بين البلاد العربية ، فانما هو تقصير الشعوب، وبتعبير أدق : إنما هو تقصير المثقفين وأهل الرأى فى البلاد العربية. إن الشعوب هى التى توجه الحكومات ثم تنقاد لها بعد ذلك . أما الشعب الذى يأمل أن يأتيه التوجيه من حكامه فهيهات أن يبلغ أمنية . وما هذه الجامعة التى يراد منها أن توجه البلاد العربية إلى التعاون الثقافى ، إلا حكومة مصغرة من تلك الحكومات السبع التى تمثلها ؛ وما لجنتها الثقافية هذه إلا طائفة من الموظفين فى هذه الجامعة إلى طائفة من الممثلين السياسيين فى المفوضيات والقنصليات العربية بالقاهرة فهل كان يأمل الأستاذ المشنوق أن يكون توجيه الثقافة العامة فى البلاد العربية عملا من أعمال طائفة من الموظفين إلى طائفة من الممثلين السياسيين كل ثقافتهم التى يتميزون بها أن يحسنوا الاستقبال والتوديع وترتيب مقاعد المدعوين فى الحفلات العامة ؟

ذلك مطلب بعيد !

الطريق العددان ٢ ، ٣ : ٧ (فبراير — مارس ١٩٤٨)

فى هذا العدد من تلك المجلة « التقدمية » يجدى القارئ صدى بعيداً للحوادث التى كانت فى العراق منذ بضعة أسابيع تعبيراً عن سخط العراقيين العام على معاهدة « جبر — بيفن » ؛ فقد استغرق حديث الثورة العراقية هذه أكثر صفحات المجلة التى تبلغ ١٤٤ صفحة ؛ بين عرض للحوادث ، وتعليق عليها ، وأحاديث أدبية تتصل بها ، ويوميات تفصل مجملها ، وشعر مما قيل فى رثاء شهدائها ...

ومما يعبر أبلغ تعبير عن الأثر الذى تركته تلك الثورة فى نفوس العرب فى خارج العراق وداخلها ، ذلك المقال الافتتاحى الذى كتبه الأستاذ رئيف خورى بعنوان « طريق صالحى جبر ... وطريق العرب ! »

ويقول فى ختامه :

« الشعوب العربية قد أفصحت عن إرادتها يوم غضبت بيروت غضبتها على المستعمرين الفرنسيين ، ويوم سالت الدماء

في دمشق ، ويوم أبينا إلا الجلاء ، ويوم رفضت مصر توقيع المعاهدة مع بريطانيا ، ويوم انتقض العراق انتقاضته الأخيرة الجبارة ! وليس يخامرنا ريب في أن إرادة الشعوب العربية ستكون بالنتيجة هي الارادة المنتصرة ! إن صالح جبر قد اختار طريقا... وإن الشعب العراقي قد اختار طريقا هي طريق الشعوب العربية . فهل للأفراد جميعا أن يعرفوا أن طريق صالح جبر وأشباهه ، طريق اضطهاد الحريات والتنكيل بالأحرار وتهريب المعاهدات الاستعمارية وقذف الشعب بالرصاص ، ليست هي بالطريقة القويمة ، حتى ولا هي أسهل الطرق كما يخيل للبعض ، مع تعاظم يقظة الشعوب العربية واشتداد سواعدها ضد الاستعمار ومشاريعه ؟ »

المشرق الجزء ٣ : ٤١ (يوليه — سبتمبر ١٩٤٧)

في هذا الجزء من مجلة المشرق الكاثوليكية بضعة مباحث ممتعة ، أولها بعنوان « الوراقة والوراقون في الاسلام » للأستاذ حبيب زيات ، وهو بحث مفصل في نحو ٥٠ صفحة استند فيه باحثه إلى بضعة وأربعين مرجعاً من الأمهات ، وتحدث فيه عن الوراقة ، والأمالي ، والاستملاء ، والنسخ ، والخط الوراقي ، وطبقات الوراقين ، والمشتهرين بالوراقة من أصحاب الفنون والآداب والقصص ... إلى غير ذلك مما يتصل بالوراقة وأهلها ؛ فجاءت رسالة وافية بموضوعها لا أعلم في العربية خيراً منها جمعا واستقصاء وتبويباً . وينتهي الأستاذ حبيب من بحثه هذا برواية كلمة المهلب لبنيه : « يا بني ، لايقعدن أحد منكم في السوق ، فان كنتم لابد فاعلين فالى زراد أو سراج أو وراق ! »

ثم بحث آخر للأستاذ الفريد البستاني عن كتاب « المقتضب من تحفة القادم » لأبي عبد الله بن الأبار القضاعي البلنسي المتوفى في تونس سنة ٦٥٨ هـ

وصاحب هذا البحث هو أستاذ الأدب العربي في معهد الدروس المغربية بتطوان ، وله عمل في مؤسسة الأبحاث العربية الأسبانية هنالك ، وهي مؤسسة تعمل فيما تعمل لنشر الثقافة الأندلسية والمخطوطات النفيسة وكل ما له صلة بتاريخ العرب بالأندلس من خلال الوثائق والآثار والمخطوطات . وهذا الكتاب الذي يعرضه في مجلة « المشرق » ، هو من سلسلة مجموعات المؤسسة التي أعدتها للنشر في جدول أعمالها السنوية .

وقد أراد ابن الأبار بكتابه « تحفة القادم » أن يجمع في كتاب ما سها عنه مؤرخو الأدب الأندلسي من آثار أعلامه وأغفله من سبقه من الأدباء ومن عاصروه ، ويعارض به صفوان بن إدريس المرسي صاحب « زاد المسافر » وابن رشيق في « شعراء القيروان » ، فأضاف بعمله هذا فصلا قيما إلى تاريخ أدباء المغرب وفتح بابا جديداً في دراسات تاريخ الأدب الأندلسي . ثم جاء أبو إسحاق البلفيقي في القرن العاشر فانتخب من كتاب ابن الأبار هذا جملة صالحة وسماها « المقتضب من تحفة القادم » وهو الكتاب الذي عثر به الأستاذ البستاني في مكتبة الأسكوريال وأفرد له هذا البحث ونشر بعضه محققاً — على ماوسعه الجهد — في هذا الجزء من هذه المجلة فاستوعب خمسين صفحة ، واعداً

أن يوالى نشر الكتاب فيما يلى من الأعداد .

وثمة بحث ثالث عن « حمامات دمشق » للأستاذ صلاح الدين المنجد رئيس ديوان مديرية الآثار العامة فى سورية ، فيه تحقيق وتدقيق واستيعاب .

وبحث آخر للأب أسطفان لاتور اليسوعى ، ترجمة الأب توتل اليسوعى ؛ ينقد فيه كتاب « تاريخ أسبانية فى عهدها الاسلامى » الذى نشره بالفرنسية الأستاذ ليفى بروفنسال فى سنة ١٩٤٤ تحت إشراف المؤسسة الأثرية الفرنسية فى القاهرة .

إلى بحوث أخرى لا أجد متسعاً لغير التنويه بها وبالمجلة التى تفسح لها صدرها مترفعة بمستواها العلمى عن النزول إلى المنحدر الذى هبط إليه كثير من مجلات الشرق متخففة من أثقال العلم إلى السفاسف التى تستهوى عامة القراء !

من سوريا

الحديث العدد ٢ : ٢٢ (فبراير ١٩٤٨)

ويتحدث محرر مجلة «الحديث» التى تصدر فى حلب عن ازدحام العاصمة السورية بالطلاب الذين يفدون إليها لطلب العلم فى كليات الجامعة وما يلقون من عنت فى أسباب العيش ، لغلاء الأسعار وضيق المساكن حتى ليتكلف الطالب أكثر من مائتى ليرة فى الشهر إلى ثلاثمائة (٢٢ — ٣٣ جنيهاً مصريا) وهو مبلغ ضخم لا يستطيع أن يتحمله الطالب ، فيعمد إلى بعض الأعمال الحرة أو الحكومية يكسب منها عيشه — كله أو بعضه — « وهذا ما يجعل من الطالب الجامعى نصف متعلم ، لأنه لن يستطيع أن يوفق بين أعباء الحياة وأعباء الدراسة ، أى لن يستطيع أن يعطى كل نشاطه إلى دروسه ... »

ثم يسأل المحرر بعد هذا : ألا توجد وزارة المعارف السورية حلا لهذه المعضلة ؟

ويتمنى على الحكومة أن تنشئ بيوتاً للطلاب فى كل مدينة ، فيعطى كل طالب غرفة صحية لسكناه يتمتع فيها بما يحتاج إليه من أنواع الراحة ، وتقدم إليه وجبات الطعام بثمن مستطاع !

وهذه المشكلة التى يتحدث عنها محرر «الحديث»، ليست خاصة بسوريا دون بلاد الشرق ؛ ففى القاهرة مثلا حيث يبلغ عدد طلاب المعاهد المختلفة أكثر من نصف مليون طالب وطالبة لا يقل الغرباء منهم عن خمسين ألفاً — يعانى الطلاب ما يعانون من غلاء الأسعار وأزمة المساكن وتكاليف الحياة التى لم يتعودوها ولا يتهيأ لهم فيها الراحة والاستقرار والبعد عن المغريات ، وهى العناصر الضرورية ليتفرغ طالب العلم لدرسه ويتوقى عوامل السوء التى تتنازعه . هذا إلى أن القاهرة — من هذه الناحية — أخف وطأة على الطلاب الغرباء من عواصم شرقية أخرى ؛ ففيها يستطيع الطالب الفرد أن يعيش عيشة متوسطة بثلث المبلغ الذى يقدره محرر «الحديث» للطالب الذى يعيش فى دمشق .

وقد فكرت وزارة المعارف المصرية

أن تيسر على الطلاب الغرباء فى القاهرة والعواصم بانشاء بيوت تؤويهم ويشرف عليهم فيها طائفة من أساتذتهم يكونون لهم فيها آباء ومعلمين وأصدقاء مرشدين فى وقت معا . ولكن هذه الفكرة لم تنفذ على وجه عام ووقفت منها بعض الحكومات فى مصر موقفا معارضا وإن كانت قد نفذتها على نطاق ضيق بالنسبة للطلاب الشرقيين ، وللطالبات ... ولكنها حتى فى هذا الحيز المحدود لم تنفذها طيبة النفس راضية بما تبذل لها ، فأخذت فى نوع من المحادثة مع جامعة الدول العربية لتلقى عليها عبأها وتتخفف من نفقاتها ؛ ولا بأس فى هذا لو أن جامعة الدول العربية ولجنتها الثقافية كانت مأمولة لخير ...

لقد حل الأزهر هذه المشكلة قبل أن يفكر فى وجودها أى بلد من بلاد الله فى الشرق والغرب ومنذ مئات من السنين ، فلا حاجة بمحرر «الحديث» إلى الاستشهاد بما فعلت أسبانيا ولا غير أسبانيا فى هذه السنين ؛ فان أمامنا المثل الصالح للاحتذاء فى مصر العربية ؛ وهو بقليل من التحسين الذى يلائم حالة التطور الاجتماعى كفيل بأن يحل مشكلة الطلاب الغرباء على خير وجه لو آمن المشرفون على شؤوننا الثقافية والاجتماعية بأن من حق الشعوب أن تتعلم وأن تيسر لطلاب العلم فيها ـ وغير طلاب العلم ـ أن يعيشوا عيشة كريمة !

ويذكر محرر «الحديث» فى موضع آخر من مقاله زيارته لبعض بيوت أهل الثراء فى ضاحية من ضواحى بلده ، فيصف ما لقى من الاكرام ثمة ، وما هيئ له من الطعام الدسم والشراب اللذيذ وأسباب المتعة والسرور ؛ ثم يقول إنه أوى بعد الغداء إلى حيث هيئوا له مكاناً ليستريح ؛ فبحث ـ على ما تعود ـ عن كتاب يقرؤه ، أو صحيفة يطالعها فلا يجد ، فيسأل حنقاً : « ماذا ؟... بيت كالقصر ، صاحبه من الذين أخذوا بحظ وافر من مباهج الحياة ، ينفق بسخاء ، ثم لا تجد كتاباً فى مضافته ؟... أنا لا أعرف كيف يعيش بعض الناس بدون أن يسامرهم الكتاب !... وكيف تخلو هذه البيوت المؤثثة بأثمن الرياش وبمختلف مظاهر البذخ وألوان الترف من مكتبة صغيرة تضم عشرات الكتب فى شتى فنون الأدب والتاريخ والاجتماع ؟ »

يا عجبا !

ألم يعرف محرر «الحديث» إلا يومئذ أن الأمة العربية التى تضم ٧٠ مليوناً ، ليس فيها من القراء أكثر من بضعة آلاف قارئ ؟

ذلك هو الحق الذى لا يجدى فيه جحود ولا مكابرة ، وإلا فكم ألفاً يطبع من أشهر كتاب لأشهر كاتب فى هذا الجيل ؟ فليدع حديث مئات الآلاف من قراء الصحف والمجلات الهازلة الداعرة ؛ فأولئك طبقة من الأميين لا يدخلون فى إحصاء القراء ، ثم ليحاول جواباً ؟

هل يطبع من أشهر كتاب لأشهر كاتب فى هذا الجيل أكثر من بضعة آلاف نسخة ، أو بضعة عشر ألفاً ! فذلك هو عدد القراء على التحقيق ؛ فلا يخدعنه ما يذاع ـ كذباً وزوراً ـ على سبيل الفخر والمباهاة : أن عدد الأميين فى البلاد العربية لا يزيدون على ٩٠ ٪ ويالها مفخرة لو صدق الفاخرون !

من العراق

دار المعلمين العالية العدد ١ : ٢ (١٩٤٨)

هذه مجلة مدرسية (أو معهدية) باعتبار المعهد الذى تنتسب إليه فى بغداد ، ولكنها فيما أرى أعظم قيمة ، وهى بانتسابها إلى دار المعلمين العالية تعنى بشؤون التربية ؛ فهذا مقال الدكتور خالد الهاشمى عميد الدار عن « أهداف التربية والتعليم فى العراق » يقرر فيه ضرورة استناد أهداف التعليم ومناهجه إلى فلسفة تربوية اجتماعية يستطاع الركون إليها والاسترشاد بها ؛ ويكاد ينكر أن للتعليم أهدافاً مرسومة على هذا الوجه الذى يشير إليه .

وثمة مقالات أخرى فى فنون من الثقافة مما يتصل بحاجة المعلمين ، والطلاب الذين يهيئون أنفسهم ليكونوا معلمين .

وللاستاذ إميل جبر ضومط أستاذ الفيزيا فى الدار بحث طيب عن « الاصطلاحات العلمية الحديثة فى اللغة العربية » يميل فيه إلى نحو من التوسع فى استعمال بعض الكلمات الملاتينية ونحوها فى هذه المصطلحات المنقولة ، ويعرض أمثلة ويحتج ببراهين ، يرمى من وراء ذلك إلى التدقيق فى دلالة الألفاظ على معانيها من ناحية ، وخفتها فى الاستعمال من ناحية أخرى بالقياس إلى بعض الكلمات التى يراد أن ينفض عنها غبار المعاجم العربية لتستعمل استعمالا حديثاً فيما غير ما وضعت له فى القديم .

وهو رأى من حقه أن يناقش ويرد عليه ويجاب عنه ؛ فلا يؤخذ على عمومه ولا يتوسع فى الأخذ به . ولكن يكفينا مئونة هذه المناقشة أن هذا الموضوع قد خرج — فى جملته — من نطاق المباحث الفردية حين اضطلع به مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، الذى يمثل فيه علماء من جميع البلاد آراء أهل العلم فى بلادهم . فلندع حديث هذه المصطلحات وأسمائها لأعضاء هذا المجمع اللغوى حتى ينتهوا فيه إلى الرأى الذى يحدد الأسماء لمسمياتها فى كل البلاد الناطقة بالعربية فلا تتبلبل ألسنتهم ويختلفون طرائق فى التسمية والتعبير .